الاعمال عندهم وانما معنى كلامهم حصول ذلك في البعض كالثواب فلا صدر منه تعالى الرحمة واللطف من غير سابقة
كبعثة الانبياء فانها رحمة للخلق من غير سابق عمل وخلق الاصلح للعبد فانه كذلك ايضا فتامل واعلم ان قوله
حمدا مفعول مطلق بمعنى الاقتضاء واصل التركيب هكذا يعطي الوجوب عليه سوابق الانعام اقتضاء حذف الفعل
والفاعل والمفعول فبقي المفعول المطلق محرفا لجر او بالاضافة يجب حذف الفعل كذا ذكر الرضي والرابع
لتحقق الاختصاص فان قوله رب العالمين ايضا مختص به تعالى لا يحتمل الشركة فيه قلنا يجوز ان يتوهم من قوله رب العالمين انه رب
بعض العالمين فلا يكون مختصا بخلاف مالك يوم الدين فانه لا يتوهم فيه اصلا ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد
الى قوله ليكون ادل على الاختصاص يعني لو ذكر بطريق الغائب كما هو مقتضى الظاهر لدل الكلام على قصر الاختصاص في العبادة
والاستعانة فان الخطاب يشعر بان المخاطب الان حاضر مشخص بخلاف ما اذا ذكر بصيغة الغائب فانه يرجع الى
ما هو معلوم بالصفات وان كان لا يحتمل الشركة في الواقع لكن يحتملها في فرض العقل وليس فيه الاشعار المذكور
والخطاب ادل على الاختصاص ولذا قال فكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا
وقال السيد الشريف العلامة انه لو قيل اياه نعبد واياه نستعين كما يقتضيه سياق الكلام بظاهره لم يكن فيه دلالة
على ان العبادة والاستعانة به لاجل اتصافه بتلك الصفات المجراة عليه وتميزه عن غيره لان ذلك
الضمير راجع الى ذاته بمقتضى وضعه وليس فيه ملاحظة اوصافه وان كان متصفا بها فالحكم بحسبانه
متعلق بذاته فلا يفهم منه تسببه عرفا فاذا قيل اياك بدل اياه فقد نزل الغائب بواسطة اوصافه
المذكورة التي اوجب تميزه وانكشافه حتى صار كانه تبدل خفاء غيبته بجلاء حضوره منزلة
المخاطب في التميز والظهور ثم اطلق عليه ما هو موضوع للمخاطب ففي اطلاقه عليه ملاحظة لتلك الصفات
وصار الحكم مرتبا على الوصف المناسب كانه قيل ايها الموصوف المتميز بهذه الاوصاف نخصك بالعبادة
والاستعانة فيفهم منه عرفا ان العبادة والاستعانة لتميزه بتلك الصفات وقال صاحب الحواشي
فيه بحث اذ لا ان لو قيل اياه نعبد واياه نستعين لم يكن فيه دلالة على ان العبادة والاستعانة لاجل
تلك الاوصاف قوله لان ذلك الضمير راجع الى ذاته فالحكم يتعلق بذاته قلنا مسلم لكن لا يلزم من ذلك
ما فرعه عليه من قوله فلا يفهم منه عرفا وانما يلزم ذلك لو لم يوصف الذات بالصفات المذكورة اما اذا
وصفت بها كان ظاهرا بتعليق الحكم بالوصف المناسب كما في قولك كل عالم يستحق ان يكرم

ان يكرم فان هذا الكلام يشعر باستحقاق الاكرام بواسطة العلم وان كان مرجع الضمير هو الرجل
والحكم يتعلق به اقول الاحق انه اذا رجع الضمير الى مجرد الذات كما هو مقتضى اصل وضعه لا يكون فيه
اشعار بعلية الاوصاف بخلاف اياك نعبد فان لفظ اياك يشعر بكون المخاطب كانه في حكم المشاهد
ولا يصير كذلك الا لاجل الاطلاع على اوصافه فمع الاعتبار الاوصاف ومجرد اتصاف الذات
بتلك الاوصاف لا يستلزم ان يكون في اياه نعبد اشعار بعلية الوصف واما تمثيل بقوله كل رجل
عالم يستحق ان يكرم فاشعاره المذكور لاجل ان استحقاق الاكرام للرجل العالم ولو لم يكن للعالم دخل
في استحقاق الاكرام لكان ذكره لغوا بخلاف ما نحن فيه فان في ذكر الاوصاف المذكورة اشعار بعليتها
لاستحقاق الحمد نعم لو قيل ان الضمير راجع الى ذاته تعالى مع اعتبار اتصافه بالصفات المذكورة بقرينة المقام
لكان فيه اشعار بما ذكر لكنه خلاف اصل وضعه ثم قفى بما هو منتهى امره اي قال صاحب الحواشي
انت خبير بان غاية ما يستدعي الخطاب ان يكون المتكلم بمسمع من المخاطب سيما اذا كان غير جسم او جسماني
ففي قوله ثم قفى بما هو منتهى امره نظر اقول هذا النظر لا يرد على ما فصله المصنف اذ غرضه من قوله ونصير من اهل
المشاهدة فيراه عيانا انه يصير في حكم اهل المشاهدة فكانه يشاهد لقوة ظهور سببه الكامل في
اوصافه الباهرة المخصوصة به تعالى والى ما قلنا الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر اي الخبر فليس الخبر كالمعاينة
كما قال عليه السلام اي ليس الخبر عن الشيء كمعاينته في افادة العلم به بل المعاينة اقوى لان المعاينة
توجب العلم بامور تقصر عنها الاخبار واعلم ان الوصل الى العين بالمشاهدة العقلية التي في حكم المشاهدة
بالحس الظهور وذلك بتجلي الحق بطريق معرفة العارف الكامل الواصل جعلنا الله منهم قوله
تطرية له وتنشيطا للسامع عن عبارة الكلام فحسن قال الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك
احسن تطرية لنشاط السامع وهو موجب لنشاط المتكلم فان المتكلم يتلذذ بالتفنن في الكلام كما لا يخفى
فتطرية الكلام مستلزم لفائدتين غير تنشيط السامع وهو التلذذ اذ التكلم وفي عبارة المصنف
دلالة على نظائرها بخلاف عبارة الكشاف حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم في هذه الآية
عدول من الخطاب الى الغيبة وفي الآية الثانية التفات من العكس من التكلم في عبارته لف ونشر

Copyright © King Saud University